من تراب الطريق! (٢٦٣)

حصاد لويس عوض (*)

لا يكاد يمضى شهر إلاّ وترى طبعات جديدة لمؤلفات توفيق الحكيم، والعقاد، وطه حسين، وهيكل، ونجيب محفوظ . لا أدرى لماذا انقطعت إعادة طبع هيئة الكتاب لمجموعة مؤلفات يحيى حقى بعد أن نفدت من سنوات، وبرغم كثرة الطلب عليها !

ولكن الغريب الأدهش، الذى تدور حوله الأحاديث ومعها الاتهامات من وقت لآخر، هو انقطاع نشر أو إعادة نشر مؤلفات الدكتور لويس عوض منذ وفاته فى سبتمبر ١٩٨٩ . هذا الانقطاع أيا كانت مبرراته أو مقاصده أو تصفياته، هو حجب لرافد وافر العطاء ظلت ماكينته تفرز بغزارة وتميز على مدار نحو ستين عاما، منذ محاولاته الشعرية الأولى وكتاباته منذ تخرج فى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة فى الثلاثينيات.

ولا يختلف أحد على أن الدكتور لويس عوض أديب وناقد ومفكر ومترجم ومبدع مصرى كبير، ملأ الحياة الأدبية والنقدية والفكرية والثقافية بمؤلفات عديدة، أثار بعضها - ولا يزال يثير - الجدل والمساجلات التى ملأت الحياة الفكرية خصوبة .. منها كتابه : " مقدمة فى فقه اللغة العربية " الذى صودر ثم أبيح نشره بعد سنوات، والمساجلات التى دارت بينه وبين الأستاذ محمود شاكر على مقالاته التى نشرها بعنوان : " على هامش الغفران " والتى جمعها فى كتاب الهلال فى أبريل ١٩٦٦ - وتلك التى تناولتها أقلام عديدة حول كتابه عن جمال الدين الأفغانى .

(*) المال ٢٠/٥/٢٠٠٩

على أن الدكتور لويس عوض ظل صاحب وجود شامخ لافت فى حياتنا الفكرية والنقدية والثقافية، ولازلت أذكر وأعود من وقت لآخر، لما أفرزه وكتبه لصحيفة الأهرام من واقع الرحلات السنوية التى كانت الجريدة توفده فيها إلى أوروبا لمتابعة أحدث الحركات الأدبية والمسرحية والفلسفية والثقافية، وضمتها من بعد عدة كتب، منها : " الفنون والجنون فى أوروبا ١٩٦٩ " - كتاب الهلال يناير (١٩٧٠) .. أطلعنا بالمقالات المجموعة فيه، ومن قبلها بالأهرام، على ما أتيح له مشاهدته من مسرحيات بلغت زهاء (١٥) مسرحية شاهدها فى لندن وباريس فى رحلته السنوية (مايو ١٩٦٩) التى كان يوفده الأهرام فيها لينقل إلينا ما تموج به أوروبا من حركة مسرحية .

فى هذا الكتاب الذى أتخذه مثلا لما كان يقدمه لويس عوض دون سواه، يعرض لويس عوض كيف استقبل رحلته الرابعة إلى أوروبا منذ انضم إلى أسرة الأهرام من ثمانى سنوات . كانت الأولى فى صيف ١٩٦٣، والثنية فى صيف ١٩٦٤ - حين شهد فيها مهرجان شكسبير وكان مادة كتابه " البحث عن شكسبير "، والثالثة فى صيف ١٩٦٦ حين دعى لمؤتمر جامعة لندن للتحدث عن التطورات الأدبية والثقافية فى مصر ١٩٥٢ . لا يخفى لويس عوض حفاوته بهذه الرحلة الرابعة، ويطلق عليها : " رحلة الربيع لتجفيف الدموع " - فقد جاءت عام ١٩٦٩ بعد انقطاع فرضته محنة الوطن فى يونيو ١٩٦٧ .

فى كتابه : " الفنون والجنون فى أوروبا ١٩٦٩ " .. عرض الدكتور لويس عوض زهاء (١٥) مسرحية شاهدها على مسارح لندن وباريس لينقلها لنا، وكلها تمثل التجارب الجديدة فى الفنون المسرحية منها ما شاهده من نماذج عديدة للمسرح السياسى ممثلة فى " صعود أرتورو دى " لبريخت، و " الحرية والسلام " فى قهوة سنيفل " حول الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩/١٩٤٤) .. التى ألفها " فورى لانى " .. راسماً فيها صورة من أروع ما خطته يد فنان فى وصف بشاعة وضعف وعجز الإنسان عن أن يتجاوز ذاته . ومسرحية " آلام الجنرال فرانكو " لأرمان جاتى،

ومسرحية : " تحول لوزيزيتانيا " لبيتر فايس، و " هارديان السابع " لبيتر لوك، وغيرها .

شاهد لويس عوض ونقل أيضاً نماذج من المسرح الجنسى، وعددا من المسرحيات التقليدية، ولكنه عرج إلى دراسة هامة عن ثورة الشباب الأوروبى والأمريكى التى تبلورت فى حركة " الهيبز "وما نبع عنها من فن وفكر وسلوك.

ما بين أول أعماله المعروفة: " مذكرات طالب بعثة "، وكتبه بالعامية فى محاولة جريئة، وآخر ما كتبه : " أوراق العمر، سنوات التكوين " .. وفيها سيرته الذاتية فى جرأة ندرت فى كتابة المذكرات .. قدم الدكتور لويس عوض عشرات الأعمال المتميزة - دعنى أذكر لك منها، بالإضافة إلى ما ذكرته عرضا : " فن الشعر " لهوراس، و "بروميثيوس طليقا " للشاعر شلى، و " فن الأدب الإنجليزى الحديث "، و " خاب سعى العشاق " لشكسبير، و " دراسات فى أدبنا الحديث "، و " مسرحية الراهب "، و " المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث "، و " الاشتراكية والأدب "، و" نصوص النقد الأدبى عند اليونان "، و " المسرح العالمى "، و " الثورة والأدب "، و " أجاممنون " لأسخيلوس، و" ثلاثية أوريست "، و " دراسات عربية وغربية "، و " تاريخ الفكر المصرى الحديث " و "دراسات أوروبية "، و " الحرية ونقد الحرية "، و" ثقافتنا فى مفترق الطرق"، و" أقنعة الناصرية السبعة "، و " ثورة الفكر فى عصر النهضة الأوروبية "، " دراسات فى الحضارة " وغيرها .

فهل يحتمل ما نحن فيه من جدب وإجداب، ومن غثاء وتفاهات، أن نعطى ظهورنا أيا كانت المعاذير، لهذا الإنتاج الضخم المتميز، ونحرم أجيالاً متتالية من الإطلال على المشروع التنويرى رفيع المستوى الذى نهض عليه وقدمه الأستاذ الدكتور لويس عوض فى صبر وفيض وتمكن وأناة ؟!